

رسالة الأردن

بالنائب إلى مجرد شاعر جاهلي تحففي
قبيلته ببروزه وتقيم الولائم وتشمخ به
بين القبائل.

فما إن بدأت الحملة الانتخابية
بموجب القانون المؤقت، قانون الصوت
الواحد للناخب الواحد، حتى فاضت
العصبيات العشائرية والإقليمية
والطائفية، يتصدّرها المثقفون،
واكتسحت أمواجها الشهادات العلمية
والألقاب الأكاديمية مثلاً اكتسحت
تطعّمات الأفراد وأشوّاقهم وحاجاتهم
فاندلعت كالحمى في أوصال الجسد.
جرى تهميش الفكر وأعيد إنتاج معوقات
الوحدة الوطنية، إذ بُعثَّ التعصبُ الضيقُ
للعلاقات الاجتماعية القديمة على
حساب الاتماء الوطني. وبالنتيجة
حُجبت الشعارات الانتخابية ذات
المضمون الاجتماعي الملمسة وسط
غابة من الشعارات التي سُنّت الأفق في
المدن والقرى وسوّدت صفحات
الصحف المحلية.

لقد ثبت إخفاق ثقافتنا في تجاوز
مخالفات العصور والانطلاق إلى
الكشف، حيث تُسخّر المعرفةُ والعلمُ
أداةً بحث وتنقيب وتحليل وصولاً إلى
معرفةٍ أوسع وتحرير الفكر والفرد من
سلطة الماضي وخرافاته وأصفاده.

والحال أنَّ قيم الجاهلية الأولى
متحوصلة في حياتنا الاجتماعية والثقافية
تستحضرها وتشحنها بطاقة البقاء حالةً
من البعية الثقافية والاقتصادية، تعذّرها
المدرسةُ والجامعةُ إذ تكرّسان أسلوبَ
التلقين والنسخ والتقليد في العملية
التربيّة، وتقتل ملكة الإبداع والمبادرة.
وعندما يغيب الإبداع يهيمن الرّكودُ

له أكثر من معنى، ويشير إلى العمق
الثقافي الحضاري لبلد لم تفته كلُّ
سنوات الدمار.

«لقد أثبتت لبنان فعلًا.. أنه يستحقّ
الجائزة ككتابه.. وبشره الذين تدقّعوا
على قرية أمين معلوم من القرى
المجاورة لتهتها بعرسهم جمِيعًا».

٢ - سلطة الماضي على حيّاتنا المعاصرة

علّقت الصحافة الأردنية بإسهاب
على ظاهرة التمزّق الاجتماعي في خضمِ
الانتخابات النيابية. ولفتَّ نظرَ
المراقبين ظاهرةً لحاق المثقفين بركب
عشائرهم وقبائلهم وحتى استفارتهم
للعشائرية والقبلية والإقليمية. وأشارت
الظاهرة ردود فعل بلغت حدَّ الصدمة
والاستهجان لدى الكثيرين، لكنَّها
وجدت التبرير لدى البعض والتفسير
لدى بعض آخر.

ووجدت تبريرها في منطق «الزمن
الثقافي الواحد» حسب تعبير محمد عابد
الجابري، ذلك الغلاف من ورق الحداثة
يلفّعون به الهجاءة الفكرية التي تتقدّب
الثقافة العربية السائدة، حيث يتعالى
القديم والجديد داخل الوعي بصورة
توفيقية أو تناحرية. فباسمِ
الديمقراطية، الظاهرة الحضارية

المتقدّمة، يتم تمزيق أوصال المجتمع
وتفكيك وحدته الوطنية. غاب الوعي
بوظيفة المجلس النيابي كهيئة تشريعية
وسلطة مراقبة على السلطة التنفيذية
وتوجيه لها.. غاب ليملأ فراغه مفهومُ
يقزم الحياة النيابية ويمسخها إلى مجرد
هيئة بتدية تلبّي الخدمات الأولى أو
ال حاجات الفردية، ولتهبط الحياة النيابية

١ - لبنان الذي يستحقّ الجائزة
تحت هذا العنوان حتّى الشاعر
والروائي إبراهيم نصر الله «حالة الفرح
الجميلة العارمة التي استقبل بها لبنان بأ
فوز كاتبه أمين معلوم بجائزة
غونكور. كانت حالة خاصة.. شاملة
إلى حدٍ لا يوصف. حتّى أنت أنت
القارئ لردود الفعل التي صدرت عن
أناس بسطاء، وكتاب وسياسيين كبار،
لا تملك إلا أن تتحمّل إيكاراً لأناس
كبار، بما يفوق كثيراً الجائزة نفسها،
وحجمها الكبير في عالم الثقافة
العالمية».

ومضى الكاتب يستوحى التقليد
الثقافي اللبناني ليقول: «الفوز بالجائزة
تحقق فردياً ولكن الاحتفاء بها على هذه
الصورة كان جائزة للبنان نفسه.. لبشر
يحبّون كتابهم وأوطانهم، ولكتاب
يعرفون أنَّ تألّق واحد من زملائهم تألّق
لهم جميعاً، ولسياسيين يعرفون كتابات
وكتاب بلادهم...، لا كعادة أولئك
الذين ينتشرون فوق الكراسي الواسعة
ولا يملأون حتى زاوية من زواياها؛ وإذا
ما سأّلهم صحفي عن كتاب، روايةً كان
أم ديواناً، أو طلب منهم أن يتحدّثوا عن
أدب بلادهم فإنه يغمى عليهم لا شيءٌ
إلا لأنّهم لا يعرفون عن هذا الأمر
 شيئاً».

«تقتلك تلك العاصمة التي تتكمّش
كلَّ يوم، وتتهشم كلَّ يوم رغم صورها
البارقة وباقاتها المنشأة جيداً، والناسعة
كفراغ».

«تقتلك حالة الإقصاء التي تمارسها
ضدّ مبدعيها وكلَّ طاقة خلاقّة تفتح
فيها». إلى أن يقول «فرح لبنان بكتابه

وгин قصى عبد الرحيم عمر تبيّن أنَّ الذين يقدّرونَهُ قدرَهُ كثرةً كاثرةً من المواطنين رغم الاختلاف الكبير بين فئاتهم واتّماماتهم الثقافية والاجتماعية».

وقال الدكتور ابراهيم خليل: «عندما حُلت الرابطة [المقصود «رابطة الكتاب الأردنيين»] عام ١٩٨٧ لم يكن أبو جمال بعيداً في الواقع عما يجري. فقد كان الإجماع قد انعقد على اختياره رئيساً للرابطة. وجاء القرار العرفي المفاجئ وقتنـد كائناً قصـد به إحباطـ هذا الاتـفاق. ولم يكن موقف أبي جمال مهادـناً أو ليـناً فقد تحـول بيـته إلى مقرـ بـديل تـجتمعـ فـيهـ الهيئةـ الإدارـيةـ وتـواصلـ تـحدـيـهاـ لـقرارـ الـحلـ وـتمـثـيلـهاـ لـلكـتابـ الأـرـدنـيـنـ. وقد أـلـحقـ هـذـاـ بـهـ الأـذـىـ دونـ شـكـ. وقد آنـ الأـوانـ لـيـقالـ هـذـاـ الـكلـامـ تـأـكـيدـاـ لـمـوـاقـعـ الرـجـلـ الشـجـاعـةـ فـيـ وـجـهـ الـهـيـمـةـ وـالـتـسـلـطـ عـلـىـ الـكـلـمـةـ».

وأشار فخري قعوار إلى أنَّ أبو جمال المتنـوعـ والمـتجـددـ دائمـاً لا يتـوقفـ عندـ حدـ: «فـهـوـ صـاحـبـ البرـنـامـجـ الثـقـافـيـ التـلـفـزيـونـيـ النـاجـعـ، نـدوـةـ الـاثـنـيـنـ». ومنـ خـلالـهـ كانـ يـدـوـ وـاضـحـاـ مـدىـ عـمقـ ثـقـافـةـ عبدـ الرـحـيمـ وـقـدرـتـهـ عـلـىـ مـحاـوـرـةـ المـخـتصـينـ فـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـقـصـاصـاـ وـكـائـهـ واحدـ منـ أـهـلـهـاـ. هذهـ الثـقـافـةـ الـواسـعـةـ كـانـتـ تـبـدوـ كـذـلـكـ جـلـيـةـ وـواـضـحةـ مـنـ خـلالـ أحـادـيـثـ وـشـعـرـهـ وـعـمـودـهـ الـيـومـيـ وـكتـابـاتـهـ الـمـخـلـفةـ».

عبدـ الرـحـيمـ عمرـ مـثـقـفـ صـاحـبـ موقفـ تـرـكـ بـصـماتـ عـميـقةـ الأـثـرـ عـلـىـ وـعـيـناـ الـثقـافـيـ.

والـعشـرـينـ مـنـ أـكـتوـبـرـ (تشـرينـ الـأـوـلـ). وـتـحدـثـ فـيـ حـفلـ التـأـيـينـ منـدوـبـ وزـارـةـ الـثـقـافـةـ الـأـسـتـاذـ مؤـنسـ الرـزاـزـ وـنـقـيبـ الصـحـفـيـنـ وـرـئـيسـ تـحرـيرـ صـحـيفـةـ الرـأـيـ وـرـئـيسـ رـابـطـةـ الـفـنـانـينـ الـأـرـدنـيـنـ وـالـأـمـيـنـ الـعـامـ لـلـاتـحادـ الـعـامـ لـلـأـدـبـاءـ وـالـكـتـابـ الـعـربـ وـمنـدوـبـ الـرـابـطـةـ الـدـكـتـورـ اـبـراهـيمـ خـليلـ وـمنـدوـبـ عنـ أـصـدـقـاءـ الـفـقـيـدـ هوـ الـدـكـتـورـ هـاشـمـ يـاغـيـ ثـمـ الـمـهـنـدـسـ أـنـورـ عبدـ الرـحـيمـ عمرـ.

وـكـمـ اـتـقـفتـ مـخـتـلـفـ التـيـارـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ الـأـرـدنـيـةـ فـيـ تـقـدـيرـهاـ الـعـالـيـ لـلـفـقـيـدـ، فـقـدـ أـجـمـعـ الـمـتـحـدـثـونـ فـيـ حـفلـ تـأـيـيـهـ عـلـىـ تـلـكـ السـمـاتـ الـبـارـزةـ فـيـ شـخـصـيـتـهـ الـثـقـافـيـةـ، وـمـنـ أـبـرـزـهـاـ تـنـوـعـ إـبـدـاعـهـ وـنـظـرـتـهـ الـإـنـسـانـيـةـ وـانـحـيـازـهـ لـلـحـيـاةـ وـلـلـإـنـسـانـ وـلـلـإـبدـاعـ.

قالـ الـأـسـتـاذـ مؤـنسـ الرـزاـزـ: «كانـ عبدـ الرـحـيمـ ثـائـراـ يـاتـيـاـ التـروـيـضـ وـالتـدـجيـنـ، وـتـرـكـ بـصـماتـ الـأـصـابـعـ فـيـ ذـاـكـرـةـ كـتـابـناـ.. وـعـلـمـ أـبـنـاءـ الـجـيلـ الـجـدـيدـ مـنـ الـكـتـابـ أـنـ الـمـتـقـفـ مـوـقـعـ».

وقـالـ رـئـيسـ نقـابـةـ الـفـنـانـينـ الـأـسـتـاذـ محمدـ يـوسـفـ العـبـاديـ: «أـبـوـ جـمالـ كـانـ يـؤـمـنـ إـيمـانـاـ عـمـيقـاـ بـقـدرـةـ الـثـقـافـةـ وـالـفـنـ علىـ التـغـيـيرـ وـالتـطـوـيرـ فـيـ بنـاءـ الـشـخـصـيـةـ الـإـنـسـانـيـةـ».

وقـالـ الـدـكـتـورـ هـاشـمـ يـاغـيـ: «الـقـدـ عـانـقـ الـوـاقـعـيـةـ الـاشـتـراكـيـةـ وـانتـظمـ فـيـ حـزـبـ يـسـتـظلـ بـظـلـهـاـ وـلـكـنـ فـيـ سـمـاءـ مـنـ الـاسـتـقلـالـ وـالـبـصـرـ وـالـرـؤـيـ الـوـسـيـعـةـ الـتـيـ لمـ تـنـسـ خـصـوصـيـةـ ذـلـكـ الشـاعـرـ العـنـيدـ عـنـادـ أـقـصـاهـ آخـرـ الـأـمـرـ عـنـ الـحـزـبـيـةـ الضـيـقـةـ دـوـنـ أـنـ يـتـنـكـبـ طـرـيـقـ الـيـسارـ الـجـريـءـ حـتـىـ آخـرـ رـمـقـ فـيـ حـيـاتـهـ...».

ويـعـقـدـ لـوـاءـ الـظـفـرـ لـمـنـطـقـ الـبـيـانـ وـالـبـرهـانـ فـيـ عـمـلـيـةـ التـفـكـيرـ، يـراـوحـ دـاخـلـ منـهـجـ الـقـيـاسـ، مـسـتـنـداـ إـلـىـ الـحـجـجـ وـالـحـقـائقـ الـمـعـلـوـمـةـ، مـرـسـخـاـ تـقـلـيـدـ التـثـبـيـتـ بـالـمـاضـيـ وـاتـخـاذـهـ مـرـجـعاـ وـقـبـولـهـ بـلـاـ نـقـدـ أـوـ تـمـحـيـصـ، وـمـوـطـداـ مـكـانـةـ السـلـفـ وـسـلـطـتـهـ الـطـاغـيـةـ.

إـنـهـمـ مـنـطـقـ وـمـنـهـجـ مـشـدـودـانـ لـلـمـاضـيـ وـمـورـوـثـهـ مـنـ الـقـيـمـ وـالـعـلـاقـاتـ وـالـأـفـكـارـ وـيـتـخـذـانـ مـنـ الـمـعـلـوـمـةـ مـادـةـ مـحاـكـاةـ وـمـوـقـفـ إـذـعـانـ. وـبـهـذـاـ الـمـنـطـقـ وـهـذـاـ النـهـيـجـ أـتـيـحـ لـلـسـلـطـةـ السـيـاسـيـةـ أـنـ تـدـمـجـ الـمـعـلـمـيـنـ وـأـصـحـابـ الشـهـادـاتـ وـتـهـمـشـ الـمـبـدـعـيـنـ وـدـعـاءـ التـحرـرـ وـالـانـطـلـاقـ إـلـىـ أـفـقـ الـتـقـدـمـ الـمـفـتـحـ بـلـاـ حـدـودـ.

فـالـأـنـتـخـابـاتـ الـأـرـدنـيـةـ وـمـاـ تـخلـلـهـ مـنـ ظـواـهـرـ مـسـتـفـزـةـ بـرـهـانـ عـلـىـ أـنـنـاـ نـقـلـ عـنـ الـغـرـبـ مـعـلـومـاتـهـ وـظـواـهـرـ سـطـحـيـةـ مـنـ حـضـارـتـهـ وـقـصـرـنـاـ عـنـ تـنـاـولـ مـنـهـجـيـهـ الـعـلـمـيـةـ - جـوـهـرـ حـضـارـتـهـ، فـكـرـسـنـاـ بـذـلـكـ فـكـرـ الـتـخـلـفـ وـظـواـهـرـهـ فـيـ حـيـاتـاـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

٣ - الرـجـلـ الـذـيـ رـحلـ عـنـاـ

قـرـرـتـ الـهـيـثـةـ الـإـدـارـيـةـ فـيـ رـابـطـ الـكـتـابـ الـأـرـدنـيـنـ تـكـرـيمـ الرـاحـلـ الشـاعـرـ وـالـمـثـقـفـ الـمـبـدـعـ عبدـ الرـحـيمـ عمرـ بـمـنـاسـبـةـ مـرـورـ نـصـفـ عـامـ عـلـىـ وـفـاتـهـ. وـبـالـتـعـاـونـ مـعـ وـزـارـةـ الـقـيـافـةـ سـتـقامـ بـهـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ فـيـ أـوـائلـ شـبـاطـ الـقـادـمـ نـدوـةـ فـكـرـيـةـ عـنـ إـبـدـاعـ الـفـقـيـدـ الـذـيـ تـرـأـسـ أـوـلـ هـيـثـةـ إـدـارـيـةـ لـرـابـطـةـ الـكـتـابـ الـأـرـدنـيـنـ وـتـرـأـسـ دـورـتـهـ الـرـابـعـةـ عـشـرـةـ.

وـكـانـ الـرـابـطـةـ قدـ كـرـمـتـ الـفـقـيـدـ فـيـ ذـكـرـىـ أـربعـينـ وـفـاتـهـ الـذـيـ صـادـفـ الـثـالـثـ